خفايا العالم الآخر

تأليف

اسلام
الهاشمي الحامدي

***

نبذة عن الكتاب

إسلام الهاشمي الحامدي، كاتب عربي مصري، يعود نسله إلى الشيخ إسماعيل الحامدي شيخ الأزهر الكبير، وهو من نسل العباس عم نبي الإسلام وجده الأكبر هو النبي إبراهيم عليه السلام. ولد في القاهرة عام 1987 ميلادياً، وهو حاصل على بكالوريوس نظم إدارية.

إسلام له العديد من المقالات والقصص والروايات والشعر وقصص الأطفال المنشورة إلكترونيًا. كما يعمل على كتابة قصص للأطفال بهدف تقديم نفسه لجيل جديد من القراء، ويخطط لنشر مجموعة من القصص القصيرة لاستكشاف أفكار جديدة.

إسلام يسعى ليصبح أقوى كاتب في العالم العربي، ويعتبر أن موهبته في الكتابة هي إرث سيبقى للقراء حتى بعد مئة عام من وفاته. ويواصل نشر أعماله إلكترونيًا و ورقيا للوصول إلي اكبر قد ممكن من القراء .

***

*****اهداء*****

اهداء الى كل من ساهم في إخراج هذا العمل علي اكمل وجه

اهداء خاص الى محبي القراءه من جميع أنحاء الوطن العربي ، داخله و خارجه

اهداء خاص الى جمهوري الحبيب الذي اعمل من أجله ومن أجل الأجيال القادمة

اهداء خاص الي كل من يدعم القراءه و يساهم في نشرها بين الأصدقاء لخلق جيل جديد من القراء خير من العقول السطحية التي تحيط بنا

****

*****مقدمة *****

الخوف مش معناه إنك جبان، بالعكس، هو رد فعل طبيعي لما بنواجه حاجة مش " فاهمينها. لما تلاقي نفسك قدام حاجة مش لاقي لها تفسير، ده مش ضعف، دي غريزتنا البشرية بتخلينا نخاف من اللي مش معروف. العقل دايمًا بيحذرنا من الخطر اللي مش مفهوم، ومش منطقي إن حد عاقل يرمي نفسه في التهلكة من غير ما يعرف هو داخل على إيه.

إحنا عايشين في العالم ده وعارفينه بحدوده وقوانينه، بس هل ده كل حاجة؟ في نظريات بتتكلم عن عوالم تانية، ممكن تكون عوالم موازية لعالمنا، أو عوالم مختفية تحت الأرض. تخيل إن في كائنات عايشة تحت الأرض ومحدش فينا عارف عنها حاجة. طيب إيه رأيك في الفضاء الواسع؟ ممكن يكون فيه حضارات تانية متقدمة بتراقبنا من بعيد وإحنا مش حاسين بيهم. ويمكن كمان في مخلوقات تعرف عننا كل حاجة وإحنا ولا على بالنا.

وكمان في العوالم اللي كتير مننا بيخاف منها ، عوالم الجن والشياطين، والأرواح اللي بتعيش في الظلام. الحاجات دي مش مجرد حواديت بنحكيها للأطفال عشان نخوفهم، دي ممكن تكون جزء من حقيقة إحنا مش شايفينها. ولا ننسى السحر والأعمال الشريرة، واللعنات اللي ممكن تتوجه للناس وتغير حياتهم من غير سبب مفهوم. أحيانًا ممكن نلاقي تفسير لبعض اللعنات، بس في لعنات تفضل غامضة ومش ممكن العقل البشري يفهمها .

دي بقى اللي أنا بسميها 'خفايا العالم الآخر'، العوالم اللي مش بنشوفها بس بنحس بوجودها. الخوف الحقيقي مش في الحاجات اللي بنشوفها بعنينا، لكن في الحاجات اللي نعرف إنها موجودة ومش قادرين نفهمها أو نلمسها. دي القوة الخفية اللي بتحرك العوالم الموازية والجن والسحر والأرواح، وبتخلينا نعرف إن عالمنا، رغم كل التقدم اللي احنا فيه، مجرد جزء صغير من صورة أكبر وأعقد بكتير جدًا."

الأديان الابراهيمي ذكرت عوالم و مخلوقات و حضارات سبقتنا في العلم و التكنولوجيا و انتهت في يوم من الايام ، و احنا اللي باقي لينا منهم حجاره مرسوم عليها لغتهم بتحكي عن قوة و تطور و ابداع .. السؤال بقي لو احنا انتهينا في يوم من الايام أية اللي هيفضل منا ؟! الأجيال القادمة هتذكرنا بأية ؟! احنا لا نذكر بالنسبة للحضارات اللي فاتت و لا نعرف اسرار الكون و كلا كل المخلوقات اللي حوالينا لأنها وببساطة .. خفايا العالم الآخر .

***

في ليلة شتوية غريبة، كانت السماء بتشتي ، كان البحر في حالة هياج و الموج بيطلع بره ياما . اصحاب المحلات قفلوا بدري بدري ، والمواصلات اختفت ، والشوارع كانت غرقانه ، وكل الناس كانت بتجري على بيوتها تستخبي من جو الشتا الصعب ده .

كنت جوا محل بلايستيشن مع فؤاد جاري وصحبي ، كنت بلعب بليفربول وهو بالريال، كان وقت جميل . كنا بتلعب على اللي يشيل، وكالعادة، خسرت، وحسبت أنا وفؤاد كان بيضحك و يتستفزني ، بس عادي مسيري هكسبه في يوم .

في الشارع، كان الجو ثلج ومطر شديد. جريت تحت المطر أنا وفؤاد، وهو كان بيقول: "إيه يا جدع، ده ينفع كده؟"

ضحكت وكملت جري، وقلت له: "لازم نوصل قبل ما المطر يغرق هدومنا."

بصيت ورايا ملقتش فؤاد. وقفت مستغرب، نديت عليه بس صوت البرق والرعد كان مغطي على كل حاجة. قلت يمكن رجع للمحل تاني، خايف على هدومه من المطر.

دخلت محل البلايستيشن وكان الجو هناك مختلف. لقيت مدام سلمي على الكونتر وسألتها: "فؤاد رجع تاني هنا؟"

ردت وهي بتبصلي باستغراب وبتاكل تسالي: "فؤاد؟! فؤاد ماجاش النهاردة ولا إمبارح، ولا أنت كمان."

ضحكت سخرية وقلت لها: "بتهزري، ده أنا لسه خارج من هنا أنا وهو، بس حاتم كان مكانك. كنا على الجهاز ده لمدة ساعتين."

ضحكت بصوت عالي وندهت على اللي بيلعبوا على الجهاز وقالت: "ولا يا حمو، انت ماجر من أمتى؟"

رد واحد منهم وهو متعصب: "باصي يلا باص ياد يابن ال... بقالنا أربع ساعات."

بصتلي مدام سلمي وهي ساكتة، ضحكت وقلت: "أكيد أنتوا بتهزروا."

فجأة لقيت حد حط إيده على كتفي. بصيت ورايا لقيت فؤاد غرقان ميه وقال لي: "رجعت تاني ليه؟ يلا يا ابن، عايز أروح."

بصيت له وبصيت لمدام سلمي وهي رافعة حاجبها بتقولي: "إيه مالك، بتبص حواليك ليه؟"

ضحكت بصوت عالي وقلت لها: "والله صدقتكم، طيب سلام."

خرجت أنا وفؤاد، وسمعت حموا بيقولها: "ماله ده، عايز يجر الجهاز ده ولا إيه؟"

فقالت: "سيبك منه، شكله مصطبح وبيكلم نفسه."

ماخدتش بالي وخرجت أنا وفؤاد في الشارع. المطر كان شديد، وأعمدة الإنارة كانت بترعش. كنت سابق فؤاد بخطوات وبكلمه، وفجأة وقفت وبصيت ورايا، ملقتوش. ضحكت بصوت عشان أخفي قلقى وقلت: "مش هنروح النهاردة بالشكل ده."

بصيت حواليّ، لقيت فؤاد اختفى، وسمعت همس وصوت مش غريب عليّ. جنبّي، بصيت تحت رجلي لقيت كلب أسود واقف بيبصلي وهو بيلهث. أنا عندي فوبيا من الكلاب، فطلعت أجري، أجري وأجري وأنا مرعوب، مش عارف أهرب من الكلب ولا من فؤاد. لحد ما وصلت قدام البيت ودخلت، لقيت فؤاد في وشي وكان شكله مضايق. سألته وأنا بنهج: "روحت فين وسابتني يا عم؟"

رد باستغراب وقال: "أروح فين في الجو ده؟ أنا كنت في بيتنا من الصبح، ما نزلتش إلا لما جبت دواء لأمي من الصيدلية."

مسحت على وشي وأنا غضبان وبصيت عليه وقلت له، وقبل ما أكمل الكلام، لقيت الكلب الأسود واقف قدامي بيزوم عليّ. ضربات قلبي كانت هتنفجر، وفجأة قفز الكلب عليّ بوحشية.

فجأة صحيت على تليفون من اسماء، حبيبتي. فتحت عيني على صورتها على الموبايل، وكان أذان الفجر بيدن. قالتلي: "أيه ده، انت نايم يا بني؟"

رديت بالعافية وأنا بحاول أتنفس: "الو، أيوه يا اسماء."

ردت باستغراب وقالت: "مالك بتنهج كده ليه يا حبيبي؟"

قولتلها وأنا بلمس وشي: "مفيش، كابوس جديد."

ضحكت وقالت: "كويس إني أنقذتك منه."

قولتلها وأنا بقوم عشان أدخل الحمام: "في الوقت المناسب. أية اللي مسهرك لحد دلوقتي؟"

ردت وقالت بسخرية: "الامتحانات، يلا يا دكتور، فوق كده، عندنا امتحان مهم في التشريح كمان خمس ساعات."

ضحكت وقلت: "خمس ساعات! ده عمر تاني."

قالتلي وهي بتاكل: "ها، هتعمل إيه دلوقتي بقى؟"

قولتلها وأنا بتاوب: "هدخل الحمام وأكمل نوم. سلاااام."

بدأت تخانقني كالعادة، قفلت السكة في وشها كالعادة برضه وأنا بضحك. قصة حبي مع اسماء ***بدأت من أول يوم في المشرحة، كانت واقفة جنبي وأول ما شافت الجثة، اغمى عليها.

****

**** سلسلة "خفايا العالم الآخر****

****لعنة الغراب ****

صحيح إن الحكايات بتختلف، لكن في الآخر كلنا بنشترك في نفس المصير. بيقولوا زمان واحنا أطفال كنا بنقدر نشوف حاجات تعجز عيون الكبار عن إنها تشوفها. فاكر كويس وأنا صغير مواقف كتير مرت عليّ، حاجات غريبة حصلت، بس مش عارف إذا كانت أحلام ولا حقيقة. اللي أنا متأكد منه إن لو شوفنا حاجة في الحلم ومالهاش تفسير منطقي، يبقى أكيد شفناها قبل كده في واقعنا، لإن العقل البشري ما بيقدرش يخترع حاجة من العدم.

زي أفلام الخيال العلمي اللي بيجيبوها في هوليوود، مهما كان اللي بيحكوا عنه خيال أو تكنولوجيا مستقبلية، الحاجات دي موجودة فعلًا. الأفلام دي مش بس مجرد تسلية، دي تسويق للعقل الباطن. بيحاولوا يحضرونا نفسيًا وتخلي أفكار التطور دي عادية بالنسبة لنا، عشان لما التكنولوجيا دي تبقى قدامنا في الواقع، نجري عليها ونشتريها من غير تفكير.

احنا مش لوحدنا على الكوكب ده. في مخلوقات كتير حوالينا، بس الفرق إنهم يعرفوا يوصلوا لنا، وإحنا ما نعرفش نوصل لهم غير بطقوس معينة، تفتح بوابات بتسمح لهم بالمرور من عالمهم لعالمنا. المخلوقات دي متنوعة، في منهم اللي بيعيش تحت الأرض، وفي الفضاء، وفي السما، وفي منهم معانا هنا على الأرض، شايفيننا وإحنا مش شايفينهم.

اللي أنا بقوله مش مجرد خيال أو قصص، ده حاجات ليها أساس. لما تفتح عينك للعالم ده، هتشوف إننا محاطين بأكتر مما نتخيل.***

***

أنا يوسف سالم ودي حكايتي.

أنا يوسف سالم" شاب في آخر سنة في كلية الطب، ومتخصص في قسم التشريح. من أول ما بدأ الدراسة، كنت حاسس إن ده المجال اللي بيناسبه. في الوقت اللي زميلي كانوا بيخافوا من التعامل مع الجثث، كنت شايف إن الجثث دي وراها أسرار و لازم تتكشف. بس اللي مكنتش اعرفه إن بعض الأسرار دي مش علمية بس... دي ليها علاقة بعالم تاني، وان الميت ممكن يتواصل معاك عشان يكشف حقائق عشان تقدر تجيب حقه ، مع العلم اني بخاف من خيالي ."

أنا من مواليد وسكان إسكندرية . زي أي شاب، بدرس في الجامعة، وبعد الضهر بشتغل كاشير في مطعم. كنت مستني إجازة نص السنة بفارغ الصبر عشان أصل الرحم وأزور عيلتي اللي في قنا، أصل جذورنا من هناك. وطبعًا أحسن وقت أروح فيه الصعيد هو إجازة نص السنة.

في كافيتريا الجامعه كنت مع اسماء بتاكل لقمه علي الماشي

اسماء قالتلي وهي بتاكلني بدلع : " خلاص هتسافر يا يوسف ؟! "

قولتها وانا ببلع اللقمه بالعصير : " هو اسبوع ويمكن اقل ، وارجعلك نتفسح قبل الترم التاني. "

اتنهدت اسماء وقالت وهي بتفكر : " اه لو كنا متجوزين! كنت جيت معاك ."

ضحكت وقولت : " حبيبي انتي اتعودتي علي جو اسكندريه ، مش هتتحملي جو الصعيد . "

قالت وهي بتمسح المنديل علي فمي باهتمام ، قالت بسخرية : " ليه ياحبيبي مافيش تكيف هناك ولا مراوح .. اي مكان معاك يبقي جنه ."

بوست أيدها بسرعه من غير متحد ياخد باله وقلتها : " ربنا يخليكي ليا يا رب و نتجوز ونخلف صبيان وبنات. "

وشها احمر من الكسوف ، فضحكتلها ضحكه ليها معني ، فصربتني برقه علي كتفي وقالت : " اتلم يا واد. "

وأخيرًا، خلصت الامتحانات! وأنا في الطريق للبيت على البحر ، كان الجو منعش وجميل ، الهوا يرد الروح و الشمس دافيه صحيح كانت الناس قليلة علي البحر بس الجو كان تحفه وانا مبتسم و مربع ومطلع راسي بره شباك المشروع، رن تليفوني. لقيته ابن عمي صابر، فرديت عليه بفرحة:

"إزيك يا ابن عمي، عامل إيه؟"

صابر رد وقال:

"كيفك يا ولد العم، وأحوالك إيه؟"

قلتله:

"الحمد لله، طمني عليك وعلى أحوال البلد."

فقال:

"الحمد لله على كل حال، ناوي تيجي إمتى؟"

ضحكت وقلتله:

"كان آخر يوم امتحانات النهارده، وخلصت وهجيلكم."

سكت شوية وبعدها قال بصوت مقلق:

"تيجي بالسلامة يا ولد العم."

بدأت أقلق، فقلتله:

"مالك يا صابر؟ صوتك مش عاجبني، في حاجة حصلت في البلد؟"

بعد تنهيدة طويلة قال:

"لا، لا.. لما تيجي بالسلامة تبقى تعرف كل حاجة."

قفل السكة. صوته كان مقلق، لكن قلت أستمتع بمنظر البحر وصوت الموج والهوا اللي بيرد الروح. ريحة اليود كانت تهبل."

****

وصلت البيت، كنت محضر شنطتي و محوش شوية فلوس من الشغل عشان السفر. أول ما دخلت، لقيت أختي مريم في المطبخ بتطبخ.

مريم : "إنت جيت يا يوسف؟"

فتحت باب الثلاجة وكلت حاجة على السريع وسألتها: "طبخين إيه النهاردة؟"

مريم ردت وقالت : "رز وملوخية ، وانت نفدت من تخريط الملوخية ."

استغربت وسألت: "والفراخ؟ مافيش فراخ؟"

مريم قالت: "ما انت عارف، اللي فيها ربنا يبعت."

مسحت وشي بغضب وقلت: "بابا وماما فين؟"

مريم قالت وهي بتشهق علي الملوخية: "باباك في المصنع لسه ما خلصش شغله، وأمك في أوضتها نائمة، ضغطها عالي شوية."

فقلتها: "هروح أطمن على أمي وأرتب شنطتي، وبعدين هتغدى وأسافر."

مريم قالتلي وهي بتسقط الملوخية في الحلة : "ترجع بالسلامة يا حبيبي."

سألتها: "مش ناوية تيجي معايا زي زمان؟"

مريم تنهدت وقالت وهي بتقلب الملوخية: "والله نفسي، بس أمك هتسيبها لمين، وأبوك مش هيعرف يتصرف لوحده معاها ، هيحتاس ."

دخلت أطمن على أمي كانت نيمه ، بوست راسها ففتحت عنها وصحيت، وسألتني: "عملت إيه في الامتحان يا يوسف؟"

قلت: "الحمد لله، كله تمام."

فسالتني وقالت : "هتسافر البلد خلاص؟"

قلت: "ايوه، هتغدى الاول ، وبعدين أنزل."

قالت: "خد بالك من نفسك، معاك فلوس كفاية؟"

قلت: "الحمد لله، مستورة."

قالت: "افتح الدولاب، آخر رف تحت المشمع، هتلاقي 500 جنيه، خدهم."

بوست اديها وأخذت الفلوس، رحت رتب شنتتي وجهزت نفسي، وبعد كده اتغديت ونزلت مستعد لرحلة طويلة جدًا.

****

.من بوابات التفتيش وعديت ،محطة مصر بقت تحفة بعد التجديد، كنت محجز تذكرتي بصراحة، الزحمة كانت خيالية، حسيت كأن مصر كلها مسافرة معايا! المهم، استنيت القطار وكنت بسمع أغاني توليت، اللي عامل روشه، وكان نفسي القطار يطلع بنعمرو دياب، بس المهم، وصل القطار ودخلت عربتي ووجدت كرسيا. وطبعا، زي العادة، اللي جنبي كان راجل .مش بنت

فبقول لنفسي، هل هتكون الرحلة جميلة وأستمتع ولا لأ؟ المهم، خلص الرحلة ورجع علطول .على الترم التاني، وأنزل الشغل لأعوض، لأني هكون فلست طبعا

****

*****محطه قنا*****

وصلت بالسلامة بعد رحله طويله ١٤ ساعه في القطر ، ركبت مشروع عشان اوصل قارية الحامدية ، اربع مشاريع و توكتك ، يارب الواحد فلس بدري بدري ، المهم وصلت لبيت عمي الكبير اللي ورثه عن جدي الرابع اسماعيل. كانت الدنيا ليلت طبعا واكيد وصلت وقت العشاء و العشي ، طبعا حماتي بتحبني .

طول الوقت وأنا بكلم اسماء ، بتطمن عليه و اهي تسليني علي الطريق الطويل اللي مش عايز يخلص ده ، اسماء : " حمدلله علي سلامتك ياقلبي . "

قولتها : " الله يسلمك يا روحي ، ياه طريق طويل بشكل . "

قالتلي : " شوف انا عوزه اسمعك ، احكيلي بالتفصيل كل حاجه . "

فضلنا نتكلم بالساعات لحد ما وصل لأرض عمي الكبيرة ووصلت لبيت العائلة .

صابر كان في الأرض بيسقي و متبهدل شفني طار من الفرحة وسلم عليه وقالي : " حماتك بتحبك نتعشي سوي بقي . "

دخلنا الدوار و كان عمي قاعد مع رجله القرية بيتفقوا علي زراعه المحصول الجديد و مين هيزرع اي و مين هيوزع و مين هيشتري السماد و كلام من ده ، شاورت من بعيد ورميت السلام علي الكل فقالي عمي: " تعالي يايوسف سلم علي الرجاله . "

ابتسمت ابتسامه خفيفه وانا مخنوق ، كل دول هيتعشو معانا ، المهم دخلت وسلمت و قالي عمي : " اطلع اتشطف وانزل نتعشي سوي ، خدوا معاك ياصابر . "

طلعت مع صابر فوق وقولتوا : " اخواتك فين صحيح ؟! "

فقالي وهو بيمسح عرق جبينه بالجلابية: " واحد في مصر بيدرس و مش نازل متبطر علي العيشة و التاني في الجبل في المنحل و بنت عمك في بيت جوزها وامي ماتت . "

وقفت في ذهول وقولتوا: " انت بتقول اي ؟! وليه ماحدش قالي ؟! "

فقال صابر : نقول اي يابني كل واحد مالهي في دنيته ، ادخل ادخل اتشطف وانزل ناكل . "

الله يرحمها كانت ست طيبة و بتحتفل بيه كل ما باجي بط وفطير ، ربنا يرحمها .

بصلي صابر بصه ليها معني ، وسكت و معلقش.

****

اتعشينا كلنا فطير و عسل و جبنه قريش و بيض ، كانت وليمه الفطير غرقان في السمنه وسخن موحوح و ايد الرجاله كانت مغطية علي الاكل ، كله بياكل وبيخطف ويضحك و يتكلم ، كان البيت دافئ و الصحبه حلوه بصحيح .

بعد الاكل صابر خدني نشرب الشاي علي الحطب وسط الزرع المندي ، ركبنا الحمير و رحنا عند صحبه عليوه .

في الطريق كان بيحكيلي واحنا ماشيين علي شط الترعه عن البلد وأحوال البلد و سألني عن مريم اختي كتير ، مسكين مش قادر ينسي حبه ليها وأنه كان عايز يتجوزها وابويا رفض وفضل ابويا وعمي مقطعين بعض من يوميها لحد النهاردة .

وصلنا عند عليوه و كان معاه شيخ كبير بيقلب في المعيز اللي مربيها عليوه كان اسمه الشيخ حامد . ومن هنا بدأت الحكاية .

****

يا عليوه، هز السعر شوية! دي معزة، لا راحت ولا جت. عليوه، وهو يرد بصوت مُحبط: "والله يا شيخ، الأسعار بقت نار، وانت سيد العارفين... العلف والعلاج والرعاية، كل حاجة بقت غالية." ضحك الشيخ حامد بخبث وقال: "انت هتضحك عليا؟ ما أنا عارف اللي فيها."

وصلنا عندهم، وعليوه عزمنا على الشاي، ولع الحطب وجهز الجوزة. "اتفضلوا يا رجالة، الشيخ معانا على الشاي."

الشيخ بص لي بابتسامة وقال: "مرحب يا يوسف، نورت قرية الحامدية." فرديت بابتسامة: "مرحب بيك يا شيخ." عليوه قال لي: "هتشرب شاي عجب يا يوسف؟" الشيخ قطع الكلام وسأل: "إيه أخبار إسكندرية وأهلها؟" رديت عليه: "كلهم تمام يا شيخ." عليوه، وهو بيشرب الجوزة قال ضاحكًا: "أحلى حاجة عندهم مافيش جبال ولا ناس بتختفي."

في اللحظة دي، المكان كله سكت، وصمت عم على الكل. النار كانت قيدة والدخان بيلف في الهوا. كل واحد بص للتاني... قاطعت الصمت وقلت: "في إيه يا جدعان؟ ناس مين اللي بتختفي؟"

صابر حاول يغير الموضوع وقال: "مافيش حاجة، اسكت يا عليوه!" الشيخ ابتسم وقال: "أنت دايمًا مسحوب من لسانك يا عليوه."

بصيت لهم بحيرة وقلت: "بجد، حد يفهمني يا جماعة!"

عليوه قال بحذر: "صحبك بدر، يا سيدي... اختفى من أسبوعين لما طلع الجبل عند الحتة دي." بصيت لصابر وسألته: "بدر اختفى بجد؟" صابر تنهد وقال: "أيوة... من أسبوعين طلع الجبل وما نزلش، كان متعارك مع أبوه وطفش."

استغربت وقلت: "طيب، طفش حاجة... بس إنه يجراله حاجة تانية؟!" عليوه قال بلهجة مريبة: "ما هو راح عند المكان الملعون... لعنة الغراب." الشيخ قال بنبرة تقيلة: "لا حول ولا قوة إلا بالله... مش هتحط لسانك جوه بوقك شوية يا عليوه؟" صابر انفعل وقال: "اخرس بقى يا عليوه!" أنا بدأت أتوتر وقلت: "بدر كان صاحبي، إيه اللي حصل له يا شيخ؟" الشيخ خد شفطة شاي وقال بحزن: "يا يوسف يا بني، المكان ده ملعون... اللي بيروح هناك ما بيرجعش." قلت له بحدة: "ليه بقى إن شاء الله؟!" الشيخ بص لي بجدية وقال: "لعنة الغراب." أنا اتعجبت وسألته: "لعنة الغراب؟ يعني إيه؟!"

بصوا لبعض وسكتوا شوية، الجو بدأ يبقى تقيل، فقلت بحدة: "ها يا شيخ، أنا سامعك." الشيخ خد نفس عميق وقال: "هحكيلك الحكاية... اسمع يا سيدي."

ملامحهم اتغيرت والخوف بدأ يبان في عيونهم. الجو برد فجأة، وحسيت إن دمي اتجمد في عروقي. بدر كان أكتر من صاحبي... كنت أفديه بروحي. افتكرت يوم ما أنقذني لما وقعت في البئر الكبير، ولما رجلي دخلت في عيدان الذرة... ذكريات كتير جمعاني بيه، ومش قادر أستوعب إنه ممكن يكون راح وما يرجعش.

****

في قلب جبال قنا العالية، في قرية صغيرة معزولة عن العالم، بتحيط بيها أسرار وأساطير بتتنقل من جيل لجيل. من بين الاساطير، أسطورة "لعنة الغراب"، اللي يهابها كل الناس الكبير قبل الصغير ، من مئات السنين. يُقال إن غراب أسود يظهر فوق جماجم مدفونة في الجبل الملعون، هناك دفنت جثث قديمة من عصور فاتت . و بيقولوا أن أي حد يجرؤ يقرب من الجماجم دي، يسمع همسات غامضة تأمره بارتكاب جرائم بشعة وقت اكتمال القمر، وإذا تجاهلها، يبتلى بلعنة أسوأ من الموت نفسه.

الأسطورة دي ترجع لزمن الحملة الفرنسية على مصر، لما نابليون بونابرت غزا البلاد. في الفترة السوداء دي، ارتكب الجنود الفرنسيون مجازر بشعة ضد الأهالي اللي كانوا يقاوموا الاحتلال بكل وسيلة. في قرية قريبة من جبال قنا، لجأ السكان النجوع إلى ساحر غامض كان عايش في أعالي الجبل غريب عنهم مش من هنا اسمه شلتوت، وطلبوا مساعدته لحماية قريتهم من الدمار. قرر الساحر شلتوت إنه يوقف الجنود باستخدام سحر قديم، و رمي لعنة مدمرة على المنطقة وقت اكتمال القمر، كانت اللعنة بتستهدف كل من يقترب من الجبل، وتمنحه قوة خارقة لارتكاب جرائم بلا وعي.

في ليلي من الليالي وقت اكتمال القمر، حصلت مذبحة رهيبة، و اخطلتت دماء الجنود الفرنسيين بدماء المصريين في عركة كبيرة قرب الجبل. بعد كده، انتشرت الغربان في السماء وبدأ الساحر في رمي التعويذة و القراءة عليها ، لحد ما خلي الأرض دي ملعونة للأبد. المنطقة دي بقت ممنوعه علي الكل، وكل واحد يقرب منها يُصاب بجنون بيقتل رحمة، ممسوس من العوالم المختلفة.

***

كنت مصدوم ومش مصدق اللي بسمعه، أنا أصلاً بخاف من خيالي، فمعقول يكون بدر حصل له كده؟! مش قادر أصدق... بصيت للسما لقيت القمر بدر، كأنها إشارة... يا ترى دي علامة ولا أنا اتوهمت؟! عقلي بدأ يلعب بيا.

قولت لهم: "طيب يمكن يكون قاعد في مكان بعيد أو مستخبي ولا حاجة؟" رد عليوه وقال: "لا يا يوسف، أكيد اتمس." صابر مدايق وقال: "بلاش نتكلم في السيرة العفشة دي."

الشيخ قام وأخد المعزة معاه، وقال لعليوه: "هبقى أعدي عليك وأحسبك لما أبيع الجموسة."

مشي الشيخ وسابني غرقان في التفكير، وقطع صابر خيالاتي لما قال لي: "مالك يا يوسف؟" بصيتله وقلت: "بدر ما يستهلش مننا كده أبداً... لازم ندور عليه ونساعده." عليوه ضحك بصوت عالي وهو بيشد نفس من الجوزة وقال: "تدور على مين؟! الله يرحمه." نظرت له بغيظ وقلت له: "صابر... هتيجي معايا ولا لأ؟"

صابر رفع حواجبه باستغراب وقال بصوت مبحوح: "أجي فين؟! انت اتجننت؟!" قمت بكل حسم وركبت الحمار وقلت: "مش ممكن أسيب بدر... لازم أدور عليه وأرجعه." فضلوا واقفين يبصولي باستغراب، عليوه قال: "لا يا أخويا، مش مستغني عن عمري!" صابر بعد تنهيدة طويلة قال: "آخر كلام عندك؟" بصيت له في عينيه وقلت بإصرار: "أيوة، آخر كلام عندي."

عليوه رجع قعد على الأرض وشد نفسين من الجوزة، وصابر قال لي بحسرة: "لا يا يوسف، لو السما انطبقت على الأرض مش طالع معاك الجبل."

ركبت الحمار وأنا قلبي مليان إصرار وعيني مليانة تحدي. الجو حوالينا كان مليان خوف وترقب، بس أنا مشيت... وعارف إني لوحدي ، وسط الهواء و صوت العواء .

***

طلعنا الجبل أنا وصابر على الحمير، والطريق كان مليان صعوبات. معانا كشفات نوبيلتنا وضوء القمر كان مساعدنا شوية، لكن الجو كله كان مرعب، وصوت الديابة وهي بتعوي خلاني أحس إني هموت من الخوف. أما صابر، فكان متعود على الأصوات دي، ولا عبرها.

الجبل نفسه كان منظره يقبض الروح، كأنك داخل فيلم رعب. بعد شوية، بدأت أشم ريحة كريهة جدًا، فسألت صابر وأنا متوتر: "شامم اللي أنا شامه؟"

ضحك وقال وهو بيهزر: "يوسف، انت لسه ما شفتش حاجة، استعد يا معلم."

كل ما طلعنا فوق الجبل، الخضرة بدأت تختفي، والبرد اشتد مع ريح قوية. وصلنا عند كهف وسط الجبل، الحمير كانت بتتعثر من صعوبة المشي، فنزلنا وربطناهم. فضلنا ننده على بدر: "يا بدر! يا بدر! انت فين يا بدر؟" لكن مافيش أي رد، كأن المكان ميت، ما فيش صوت غير الريح.

صابر هرش في رأسه وقال بتوتر: "مش كفاية كده؟ نرجع بقى، مافيش فايدة."

لكن أنا كان عندي إصرار وقلت له: "مش هرجع من غير بدر."

صابر بدأ صوته يعلى وهو بيحاول يقنعني: "يبقى مش هنرجع احنا كمان، ربنا يهديك، نرجع قبل ما يحصل لنا حاجة."

فجأة، قطع كلامنا صوت زي خبط، أو حاجة بتتحرك. ملامح صابر اتغيرت، فسألته: "أنت سامع اللي أنا سامعه؟"

هز رأسه وقال: "أبوس إيدك، نرجع."

لكن أنا مشيت قدامه واشرت له: "استنى هنا، أنا هدخل أشوف جوه الكهف."

صابر بصلي بذهول وقال لي: "جوه فين؟! جوه الكهف؟! انت اتجننت؟!"

الصوت اللي كنا سامعينه بقى أعلى، وبدأنا نبص ناحية الكهف بقلق وخوف. أنا مش شجيع أفلام، لكن بدر صاحبي، ومش ممكن أسيبه مهما كان الثمن.

وقفت قدام مدخل الكهف، مرعوب لآخر درجة، وصابر بيشاور لي بإيده إني أرجع، لكن أنا خدت القرار ودخلت الكهف. كل ما مشيت جوه، الظلام بقى أعمق، وصوت صابر من ورايا بيقل وهو بينده عليا، لحد ما اختفيت تمامًا عن نظره، وسيبته واقف لوحده بره، ميت من الرعب.

****

على شط الترعة، كان عليوه لسه قاعد يشد من الجوزة، ذهنه مشغول وقلقان. الوقت اتأخر، والدنيا ضلمة ماعدا نور القمر اللي كان بيلعب بخيال الأشجار ومعاه صوت عواء الديابة اللي كان بيزيد الرعب في الجو. فجأة، عليوه لمح خيال جاي من بعيد. وقف مكانه، وبلع ريقه وهو يقول بصوت واطي ومرعوب: "مين؟! مين هناك؟!"

طلع الشيخ حامد من الضلمة، وهو شايل المعزة على كتفه وماشي ناحيته. عليوه بص له باستغراب وقال: "شيخ حامد! إيه اللي رجعك تاني؟ وإيه اللي شايله ده؟!"

الشيخ حامد نزل المعزة من على كتفه وقال بحزن: "لا حول ولا قوة إلا بالله... المعزة فرفرت مني في الطريق."

عليوه ضحك ضحكة باينه فيها الرعب وقال: "بقولك إيه يا شيخ، ماتت صحيت، انت خدتها ولازم تدفع تمنها، مش هيبقى موت وخراب ديار."

الشيخ حامد هز راسه وقال بهدوء: "حقك طبعًا، حاضر يا سيدي، هبيع الجموسة... بس قولي، أصحابك فين؟"

عليوه بصله بتوتر وقال وهو بيتهته: "روحوا، مشيوا."

الشيخ حامد اتعجب وقال: "إزاي؟! أنا راجع من الطريق الوحيد ليهم وماشفتش حد!"

عليوه سكت شوية، وبعدين قال: "ماعرفش."

الشيخ حامد بص ناحية الجبل، وبعدها بص لعليوه ومسّك وشه وقال بصوت عالي: "هما طلعوا الجبل؟!"

عليوه هز راسه بسرعة وقال بقلق: "أيوه، أيوه طلعوا الجبل."

***

جوه الكهف، المكان كان مظلم لدرجة إني مش شايف كف إيدي قدامي. فتحت كشاف الموبايل بحذر عشان أشوف أنا ماشي على إيه، وفجأة سمعت صوت تحت رجلي، حاجة بتتكسر. نزلت أبص، لقيت عظام! مش عارف إذا كانت عظام بني آدمين ولا حيوانات، بس في اللحظة دي، مكنش ده اللي شاغل بالي. الريحة بقت خنقاني لدرجة إني حبست نفسي غصب عني عشان أقدر أكمّل. بصيت قدامي وشفت نور بعيد، نور غريب... يا رب استر.

طبعًا صابر واقف بره، مرعوب وفي حالة يرثى لها. ميت من البرد والخوف. أما هنا في الكهف، الجو دافئ شوية، بس مفيش أي تهوية، والهواء تقيل كأنك بتتنفس من خلال قماش مبلول. صوت الخبط كان بيزيد كل ما قربت من مصدر النور، أنا ماشيي وقلبي بيدق بسرعة. صوت الخطوات على العظام تحت رجلي كان بيلفت انتباهي أكتر من أي حاجة.

فجأة وقفت في مكاني. عينيا فنجلت من الرعب. طفيت كشاف الموبايل وحاولت متحركش، عشان صوت العظام اللي تحت رجلي كان هيكشفني.

الضوء اللي في الكهف كان من القمر، باهت بس واضح بما فيه الكفاية. وفي وسط المكان كان فيه جمجمة كبيرة جدًا، حواليها جماجم أصغر. فجأة لقيت غراب أسود ضخم واقف على الجمجمة الكبيرة، بيضرب بمنقاره في الجمجمة وكأنه بيحاول يكسرها من فوق. أنا بكره الغربان بكرها! خدت خطوة لورا، بس العظم اللي تحت رجلي اتكسر تاني، المره دي كنت أقرب من الغراب.

الغراب فجأة وقف، وبصلي بعينه اللي كانت بتلمع بلون أحمر زي النار. قلبي وقع في رجلي. أنا اتفزعت. بعدها طلع صوته الغريب وطار لفوق بسرعة.

مسحت العرق اللي على جبيني بإيدي، صوت أنفاسي بقى هو الشيء الوحيد اللي مسموع، عالي وواضح. أنا مش بحلم، ده حقيقي. غراب كان واقف على جمجمة ضخمة، وعنيه حمرا زي الدم. إيه اللي جابني هنا؟ وأنت فين يا بدر؟ صوتي خرج وأنا بنادي عليه، بس مفيش غير صدى الصوت اللي بيرجعلي. جربت أنادي على صابر يمكن يسمعني، بس برضه مفيش رد. حسيت إن لو حصل لي حاجة هنا، محدش هياخد باله، وصابر أول واحد هيجري ويسيبني لو شم رائحة الخطر ، اعمل ايه بس ياربي .

****

الليل كان مغطي المكان كله، والظلمة كانت تقيلة لدرجة إني حاسس إن كل حاجة حواليَّ مخنوقة. فجأة، سمعت صوت الحية أم جرس. كنت عارف الصوت ده كويس، عشان شفته كتير في الأفلام الوثائقية على ناشونال جيوغرافيك، والصوت بتاع الجرس بتاعها مستحيل يتنسى. ثانية بعد ثانية، الصوت كان بيقرب، قلبي ابتدى يدق بسرعة، وإيدي كانت بتترعش وانا مش قادر أتحرك من مكاني.

بصيت حواليّا بحذر، لقيتها فعلاً بتتلوى في الظلام، لونها أصفر زي الدهب وكان نور القمر الخفيف بيخليها وواضحة قصادي. كانت بتزحف ناحيتي، وانا حاولت أهرب منها، بس لقيت نفسي قريب من شوية جماجم مرمية على الأرض. غريب، عمري ما شفت جمجمة قبل كده في الحقيقة، وبدل ما أهرب بعيد، الفضول شدني. قربت إيدي ولمست جمجمة، بس أول ما لمستها حسيت إن الأرض كلها بدأت تهتز تحتي.

رجليا كانت بتتزلزل، وابتديت أدوس على الجماجم من غير ما أقصد، وأكسرها. كل ما جمجمة تتكسر، كان بيخرج منها زي دخان خفيف، كأنه أرواح بتطير في الهوا حواليّا. في لحظة، المكان كله بقى مليان بالأرواح دي، وبدأت أسمع أصوات ناس بتصرخ، و تتعذب، وأصوات بتستغيث، كأنهم محبوسين جوه الدخان ده. الصوت كان بيعلى، وانا حاسس إن عقلي هيتجنن، فضلت أحط إيدي على وداني عشان أهدي نفسي، بس كان مستحيل.

أعصابي كانت بتتفلت مني، وبدأت أصرخ أنا كمان، صوتي طلع من غير ما أفكر، وفضلت أصرخ لحد ما وقعت على الأرض. قلبي كان هينفجر، وضغطي وطي بسرعة. الأرواح اللي حواليّا بدأت تدخل جوايا من بوقي، كأنها بتحتلني. حسيت إن روحي بتنسحب، و أغمى عليا. آخر حاجة فاكرها الظلام والصمت .

****

صحيت على صوت الشيخ حامد وصابر وهما بيحاولوا يفوقوني. فتحت عيني بصعوبة، لقيتهم جنبي، وعليوة واقف من بعيد، باين عليها الخوف. أول ما فتحت عيني، حسيت بوجع جامد في راسي وظهري. الشيخ حامد شدني من إيدي وحاول يقومني بالعافية، وأنا مش قادر أفهم اللي حصل... "أنا لسه عايش؟!" شكلي كده.

الشيخ حامد كان باين عليه القلق، بصلي وقال: "إنت إيه اللي دخلك هنا، يابني؟! ولوحدك كمان؟!"

بصيت لصابر اللي كان مكسوف يبص في وشي، وهو مركز في الأرض. قلت بصوت هادي: "كنت هعمل إيه يا شيخ؟ لازم أدور على بدر. ماينفعش يكون لسه عايش ومحدش بيدور عليه."

الشيخ اتنهد وقال بحزن: "لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. يابني، المكان ده مش آمن... مسكون. ربنا يرحمنا ويعدي الليلة دي على خير."

صابر بصلي وهو بيحاول يساعدني أقف وقال: "الحمد لله إنك بخير. لو كان حصلك حاجة، كنت هقول لامك إيه؟!"

رديت وأنا بحاول أطمنهم: "ما تقلقوش، أنا كويس. مافيش حاجة."

لكن عليوة كانت واقفة على جنب، بنظرات غريبة ، و إيده ورا ضهره، وكأنه مستنية حاجة تحصل. أنا مش فاكر حاجة من اللي حصل بعد ما وقعت على راسي، كله غامض بالنسبالي. هما اللي حكولي التفاصيل دي.

مشينا أنا وصابر بعيد عن الشيخ حامد، وأول ما أدينا له ضهرنا، لقيته فجأة حط إيده على راسي وبدأ يقرأ القرآن. حسيت بنار بتاكل في جسمي. فجأة، جسمي بدأ يتنفض، وصرخت من الم رهيب. عيني حسيت إنها حرقاني اوي ، مش شايف حاجة غير ضباب. عليوة جرت بسرعة وربطتني بالحبل، وصابر كان ماسكني وهو بيعيط. الشيخ كان بيقرأ بصوت أعلى، وأنا جسمي مش قادر يتحمل، لحد ما فقدت الوعي تاني.

****

في أول يوم كنت نايم عند صابر، كنت أصحى لدقايق و أغيب عن الدنيا لساعات طويلة. كل اللي فاكرو إني كنت بسمع أصوات همسات خافتة بتنادي عليا، تقول: "اقتل فلان... موت علان"، وكأن حد بيحاول يسيطر على عقلي ، وانا كنت بحاول اقاوم علي قد ما بقدر.

أوقات كنت بفوق ألاقي نفسي متكتّف بالحبال، وصابر قاعد جنبي ودموعه نازلة على وشه. كل اللي كانت بقوله: "ليه كده؟ إيه اللي حصل؟". لكن الحقيقة، أنا مش فاكر أي حاجة، ولا قادر أجمع مشهد كامل في دماغي. كل اللي بفتكره مشاهد سريعة، لمحات من أحداث مش واضحة، كلها متقطعة ومش مترتبة ، بس كان الم رهيب ، وعذاب مابينتهيش .

طعم الدم كان دايماً كان في فمي، حاسس بيه باستمرار، ورائحة الموت والجثث مش بتفارقني، كنت شممها طول الوقت. الصوت اللي كان مخليني في حالة خوف هو صوت الغراب، كأنه بينده باسمي، كأنه مرسال من عالم تاني. كنت بشوف خيالات بتحوم حوالينا، تحت الأرض وفوق السما، خيالات بتراقب البشر من بعيد، وكأنها بتتجسس علينا.

كانت اسماء تكلمني ، هي تتكلم وانا بسمعها وفي عالم تاني كانت تقولي : " دور برد اية يا يوسف ، انا حاسه ان فيك حاجه متغيرة ، انا حاسه بيك ، انت مش كويس ، يارتني كنت معاك ." .

****

كنت في حالة غريبة، لا باكل ولا بشرب، وده خلى أمي ومريم يبدأوا يسألوا عليا كتير. كل مرة كانوا يسألوا، صابر كان بيرد بحجج سخيفة ومش مقنعة، لحد ما بدأوا يشكوا إن في حاجة غلط. الشك دخل قلوبهم، وكانوا حاسين إن الوضع مش طبيعي... وفعلاً، كان في حاجة غريبة بتحصل وأنا مش فاهمها.

صوت امي في التليفون: " الو ايوه يا يوسف ، طمني عليك ياحبيبي انت بخير ؟! "

صوت مريم في التليفون: " يابني آية اللي جرالك ، بابا لو عرف هيجيلك ، طيب نجيلك ولا نعمل ايةطيب . "

كنت ارد عليهم مره وعشره لا ، اقول أية ولا حد هيفهم أية اللي بمر بيه ، يارب هون يارب ، يارب انت الشافي .

****

تعبت جدا في اليوم التاني و نوبات الصرع كانت بتيجي اقوي اقتل بدل ما تنقتل ، اقتل عشان تشوف الدم و تشم رحته وترتاح ، هتفضل تعبان وانت بتقاوم ، استسلم ترتاح و تريح نفسك ، ماكنشي قدامي حل تاني غير أني اطلب مساعدة ربنا ، يارب قويني و نجيني وانصرني . حاولت استغل الموقف كل ما افوق ، لازم اعمل حاجه .

في ليل اليوم الثاني وقبل اليوم الثالث والاخير لازم انهي الموضوع ده وللابد ، هي اللعنه ثلاث ايام ، أما اقتل أو انقتل .. لازم اغير حاجه في المعادلة دي .

****

من أول يوم طلبت من صابر إنه يعلق ساعات على الحيط في كل مكان، ويخليني ألبس في إيدي ساعات كتير، وكمان يعلق في رقبتي ورقة وقلم. كنت بكتب الأوقات اللي بفوق فيها، وبحسب الوقت اللي بغيب فيه عن الوعي. استمريت على الحال ده لحد ما قدرت أحدد بالضبط أنا بفوق إمتى وبغيب عن الوعي إمتى. اكتشفت إن أكتر لحظات بغيب فيها عن الوعي بتكون من منتصف الليل لحد الفجر.

سألت صابر وقلت له: "إيه هو أكتر وقت بكون فيه منهار وأكتر وقت بكون فيه في وعي؟" رد عليا وقال: "من الساعة 12 لحد الفجر، أنت في حالة صعبة، بتجيلك تشنجات. ومن الفجر للعصر، بتفوق، لكن جسمك بيكون متكسر وبتحتاج نوم وراحة".

دخل علينا الشيخ حامد وقال لي: "أنسب وقت يا يوسف هو..." بصيت لصابر وهو بادلني النظرات بفضول: "ها، يا شيخ حامد، إيه الأنسب؟" همس وقال: "بكرة هيكون ثالث يوم. هنصلي العشاء ونطول في القراءة والترتيل والذكر لحد نص الليل. اسمعني يا يوسف، لحد نص الليل".

صابر قالها بحماس: "من العشاء لنص الليل!" أنا فكرت شوية وقلت: "الله المستعان".

الشيخ حامد رمى السلام علينا ومشي، وأنا وصابر فضلنا نتكلم. وبعد شوية، صابر بص لي وقال: "قبل نص الليل يا يوسف...

آه، قبل نص الليل لازم أكون كسرت اللعنة بالتضحية. أنا لازم أروح الجبل تاني ولوحدي، لازم أكسر اللعنة.*

في الحلم، لقيت نفسي بطير من بيت عمي لحد الجبل، مش عارف إذا ده كان حلم ولا حقيقة. جوا الكهف كان فيه ترانيم غريبة، وكان فيه ناس كتير واقفين في دايرة كبيرة حوالين نار لونها مش طبيعي. كانوا بيقولوا كلام مش فاهمه، ولبسهم كان كله أسود في أسود. كان معاهم راجل باين عليه إنه قائدهم، كان واقف بظهره ليا. فجأة سمعت حد منهم بيقول: "الآن يا شلتوت".

استغربت جداً! هو أنا سمعت الاسم ده فين قبل كده؟ اتحرك شلتوت وكان شايل طفل صغير بيصرخ، وفي إيده التانية كان بيجر جدي. واحد منهم كان ماسك خنجر وبيقرأ عليه تعويذة سحرية، واتنين منهم جابوا طرابيزة صغيرة شبه الطبلية. قرب شلتوت وحط الطفل عكس الجدي، وخد الخنجر وبدأ يهز بيه وهو بيقرأ، وكان بيشاور بإيده نحية الطفل والنار.

أتباعه ابتدوا يتحركوا كأنهم بيركعوا ويقوموا، والصوت كان بيعلى كأنهم بيستدعوا كيان غامض. عنين شلتوت اتحولت للون الأسود بالكامل، وبدأ يقرب من الطفل والجدي. أنا في اللحظة دي غمضت عيني من الخوف. فجأة، الأصوات سكتت، وسمعت صوت شهيق وزفير غريب. عرفت إنه نفذ اللي كان ناوي يعمله، بس مش قادر أفتح عيني وأشوف. درجة الحرارة ارتفعت، والرجال سجدوا، وشلتوت كان إيده كلها دم.

افتكرت في اللحظة دي إن شلتوت ده هو الدجال اللي عمل لعنة الغراب. خرج من وسط النار راجل أنيق جداً، عينه كانت حمرا وشعره أسود، وكان لابس بدلة سودة رسمية. شلتوت قال إله: "بيور؟! سيدي بيور الأعظم؟"

الكيان اللي اسمه بيور ابتسم ابتسامة خفيفة وهو بيرفع راسه، بياخد نفس عميق وبيمسح على صدره، وكان لابس خواتم غريبة عمري ما شفت زيها قبل كده.

حسيت روحي بتنسحب، وبلاقي نفسي في مكان تاني. كنت واقف فوق شلال وقت الظهر، والشمس كانت حامية ومش قادر أفتح عيني. قدامي كان في كيان بيقول: "مرحبا بك، يوسف أنا طكيل، ملك ملوك الجان."

الكلام كان رايح من بالي، مش فاهم إيه اللي بيحصل. هو في إيه؟ إزاي أنا بشوف كل ده؟ أنا لا عارف إذا كنت صاحي ولا بحلم، بس حاسس بكل حاجة، بشم وبحس، بس مش قادر أحدد.

طكيل كمل كلامه وقال: "شلتوت باع روحه للشيطان، وانت شفت ده. هو ألقى تعويذة سحرية واختلطت بدماء المصريين والفرنسيين، وانت اتأثرت باللعنة دي. لكن إن شاء الله شفاك قريب، وأنا معك طالما أنت حي، بعيد عن بيور وأندروماليوس وليليث."

وفجأة، بدون مقدمات، صحيت وأنا في حالة ذهول. كنت عطشان جداً، زي اللي مافيش نقطة مية شربتها من سنين. بصيت على الساعة، كانت ٨ مساءً، وكنت عارف إني لازم أتحرك وأروح قبل ما الوقت يخلص مني ...

****

أعلي الجبل، وسط هدوء الليل المريب وصوت عواء الذئاب المتناغم مع الرياح القوية، كنت أكافح تلك الرياح وأنا شايل خروف على كتفي، أحاول الوصول إلى الكهف. صوت الشيخ حامد كان جاي من بعيد، صوته مختلط بين الأذان والدعاء، وكأنه بيحاول يطرد الشر عن الأرض.

الرياح كانت بتصفّر حولي بصوت مرعب، ومع كل خطوة كانت بتصعب عليّ أكتر، بس أخيرًا وصلت عند مدخل الكهف. نزلت الخروف من على كتفي وأنا التقط أنفاسي، جسمي كان بيرتعش من البرد والتعب، وعيوني حمراء من الإرهاق.

دخلت الكهف بحذر، صوت همس غريب كان جاي من جوه، وكان في نار في آخر الممر بتضيء المكان بشكل مخيف. أول ما دخلت الكهف، اختفى صوت الشيخ حامد، وبقيت لوحدي قدام المجهول. قدام النار، كان في حد لابس أسود من رأسه لرجله، وشكله بيهمس بكلمات مش مفهومة. في البداية افتكرته جني، لكن بعد ما قربت اكتشفت إنه إنسان. ده كان **عليوه!**

عليوه كان واقف بيقرأ تعويذة بطريقة غريبة، فغصب عني نطقت وقلت: "عليوه! بتعمل إيه هنا؟!"

التفت عليّ بابتسامة غريبة، وقال: "يوسف، كنت في انتظارك."

اتحركت نحوه وانا بسحب الخروف وقلت له: "بتعمل إيه هنا؟!"

عليوه قرب مني وبص على الخروف بعينين سوده، وقال بابتسامة مريبة: "أنا هنا لأن ده مكاني الطبيعي. أنا حفيد الشيخ شلتوت."

اندهشت وقلت: "شيخ؟! الدجالين بقوا شيوخ؟!"

وأنا مش منتبه، خرجت تليفوني واتصلت بصابر عشان يسمع ويلحقني. عليوه لاحظ سكوتي وقال: "مالك يا يوسف ساكت ليه؟!"

رديت عليه بحذر: "مافيش، بسمعك ومستغربك."

ضحك عليوه ضحكة شريرة بصوت عالي وهو بيرجع خطوات وبيقول: "ده شغل، والشغل ما فيه زعل. الليلة دي الليلة الثالثة ليك... ها تحب تكون واحد من خدام سيدي الأعظم؟ ولا نضحي بيك؟"

حسيت بالخوف والتوتر، لكن قررت أمسك أعصابي. نزلت بإيدي على الأرض، مسكت حبل الخروف، وسبت التليفون جنب صخرة، وبعدين اتعدلت وقلت له: "اتفضل ضحي بالخروف ده، وخلي سيدك وخدامه يعتقوني."

ضحك عليوه بسخرية، لكنه فجأة صرخ بغضب وقال: "إنت عبيط ولا إيه؟!"

الدم غلي في عروقي، والأدرينالين جري في جسمي. ما حستش بنفسي إلا وأنا بنط عليه، وقلبته على الأرض، وبدأت أخبط رأسه في الأرض بشدة، وأشتمه بأقذر الشتائم. فجأة، صابر ظهر، مسكني ورفعني من فوق عليوه اللي كان بينزف بشدة، ودمه كان بيتجه نحو النار.

قام عليوه وهو بيترنح وينزف، وقال بصوت متقطع: "كلكم هتموتوا."

صابر بص له باشمئزاز، والشيخ حامد قال: "لعنة الله عليك."

من غير ما أحس، ضربت عليوه برجلي ووقع في النار، اللي اشتعلت أكتر بمجرد ما دخل فيها. فضل يصرخ بشكل مرعب، وأنا كنت شايف بأم عيني إيدين غير بشرية بتشد عليوه جوه النار، وهو بيبص لي بعينين مليانة رعب.

جسمي اتشنج فجأة، وصابر حاول يمسكني، والشيخ حامد كان بيقرأ القرآن وهو حاطط إيده على راسي، لحد ما وقعت على الأرض. دخان أبيض خرج من فمي، وبعدها فوقت شوية. مشينا بعدها على بيت صابر، أنا والشيخ حامد، وأحداث الليلة دي محفورة في ذاكرتي، مش هقدر أنساها طول حياتي

****

في صباح يوم جديد، صحيت وأنا حاسس بنشاط وحيوية غريبة، بصيت في المرايا ولاقيت بشرتي رجعت طبيعية تاني، وعيني بقت صافية زي الأول، وإيدي مبقتش بتترعش زي قبل كده. ضحكت وأنا ببص للساعات اللي فاتت والورق اللي كان على المكتب، وعرفت ساعتها إن الحمد لله... خفيت تمامًا.

فجأة، دخل عليا صابر وهو مبتسم، حضني وقال لي: "حمد الله على سلامتك يا يوسف."

رديت عليه بابتسامة وقلت له: "هو موبايلي فين؟!"

بص لي باستغراب وقال: "مش عارف! هو مش معاك؟!"

طلع صابر موبايله من جيبه، بصله وبص لي بتعجب وقال: "الاتصال بتاعك لسه شغال معايا."

خدت الموبايل منه بسرعة وحطيته على وداني، وسمعت صوت غريب بيقول: "كده يوسف فداه نفسه بعليوه والخروف ده."

الصوت قطع فجأة، وأنا بصيت لصابر وقلت له بهدوء: "أنا محتاج موبايل جديد."

بص لي صابر وقال: "نرجع نجيبه؟"

رديت عليه بنظرة فيها معنى، وقلت له: "محتاج موبايل جديد وواحد يحجز لي تذكرة للإسكندرية."

في الليل، كنت واقف في محطة القطر وصابر معايا بيودعني. ركبت القطر، وبعد ما ودعته، دورت على الكرسي بتاعي في العربية وأنا بكلم في التليفون مع مريم، أمي، وأسماء. مريم كانت بتقولي: "ترجع بالسلامة يا حبيبي، خلي بالك على نفسك."

أمي قالت لي: "البس تقيل عشان صدرك، وتكييف القطر."

أما أسماء فقالت لي: "اعمل حسابك المرة الجاية هكون معاك."

ضحكت وقلت لهم: "طيب طيب، أوصل الكرسي وأقعد، وأكلمكم بعدين."

لقيت الكرسي بتاعي، وأول ما قعدت، بصيت جنبي لقيت بنت زي القمر قاعدة. شعرها أحمر طويل، وعنيها زرقاء، وعلي وشها نمش خفيف. أول ما شافتني، ابتسمت وسعت لي عشان أقعد. استغربت وقلت لها: "إسكندرية؟"

ابتسمت وقالت لي: "فعلاً، أنت مصري؟ كنت فاكرة إنك أجنبي."

ضحكت برقة وقلت لها: "وأنا كنت فاكر إنك أجنبية! أنا يوسف."

ردت بابتسامة دافية وقالت: "وأنا لي."

سألتها بابتسامة: "لي؟ اختصار لإيه؟"

بصت لي نظرة غريبة فيها غموض وقالت وهي لسه مبتسمة: "ليليث."

قعدنا نتكلم بالساعات، وأنا كنت ناسي الدنيا كلها وأنا معاها. ماكنتش عارف إن اللي قاعد جنبي دي مش مجرد بنت عادية، دي واحدة من الشياطين الثلاثة... بيور، اندروماليوس، وليليث.

الجو بقى مليان بالغموض، والأسئلة كتيرة في دماغي، بس اللي كنت متأكد منه إن اللي جاي مش هيكون سهل.

****

قصاد الكهف، كان الشيخ حامد واقف مع صابر ورجال القرية على قمة الجبل، ومعاهم صناديق الدنميت. الشيخ حامد بص للناس اللي حواليه وقال بصوت عالي: "يا أهل البلد، المكان ده ملعون... لازم نفجره ونتخلص منه."

الرجالة بدأوا يحطوا الدنميت حوالين الكهف، وبعد شوية سمعوا صوت التفجير العالي والمكان كله اهتز. الصخور تقلبت والدخان طلع من الكهف، وكل واحد من الرجالة نزل بسرعة من الجبل وركبوا عربيات النص نقل.

صابر بص للشيخ حامد بعد ما ركب وقال له: "خلاص كده، كل حاجة انتهت؟"

الشيخ حامد رد بثقة: "آه الحمد لله، خلصنا من اللعنة دي للأبد."

العربيات اتحركت بعيد عن المكان، وكل واحد فيهم حاسس إنه ارتاح أخيرًا. لكن جوه الكهف، اللي كانوا فاكرينه اتدمر، كانت المكان بترجع تتكون من تاني. الجماجم اللي اتحطمت بدأت تتشكل من الرماد والصخور اللي وقعوا وقفلوا مدخل الكهف، رجعوا تاني كما كان مفتوح تاني. الغراب الأسود رجع وقف فوق الجمجمة، وأطلق صوته المزعج المعتاد، وكأن اللعنة لسه ما انتهتش.

الجو كان مليان غموض وخطر، وكأن الشر اللي في المكان لسه مستني فرصته يرجع أقوى من الأول.

****

تمت ،،،

****

*****خاتمة*****

"بعد ما يوسف خلّص آخر عملية تشريح ليه، و هو بيسجل مذكراته علي الموبيل وتاريخه مع خفايا العالم الاخر، وقف في المشرحة لوحده، والدنيا حواليه ساكتة تمامًا. حسّ إن كل حاجة في حياته اتغيّرت بعد اللي شافه. خفايا العالم الآخر كانت لسه بتدوّي في دماغه، والأرواح اللي مرت عليه مش بس كانت أجسام ميّتة، كان ورا كل واحدة منهم حكاية، سرّ... وكأنهم بيندهوا عليه من عالم تاني.

ابتسم ابتسامة صغيرة، ابتسامة واحد عرف إن اللي جوة المشرحة مش بس أجساد، لأ... دي بوابة لعالم مليان أسرار. بص حوالين المشرحة وقال في نفسه: 'يمكن تكون نهايتي هنا، لكن اللي شفته... مستحيل ينتهي معايا.'

وقف قدام باب المشرحة، أخد نفس عميق، وقبل ما يطلع، همس بصوت واطي: 'الحكاية دي لسه ما خلصتش... لسه في حاجات كتير مستنياني برة.'

وطلع، وهو عارف إن الدنيا برة المشرحة مش زي ما كان فاكر، وإنه مهما حاول يهرب، أسرار العالم الآخر دايمًا هتفضل وراه."